«الاخلاق ميزان رقي الامم»

الحديث الثاني والعشرون:

عَنْ جَابرَ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ:

«إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إليَّ، وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقاً، وإنَّ مِنْ أبْغضِكُمْ إليَّ، وأبعدِكُمْ مِنِّي يومَ القِيَامةِ، الثَّرْثَارونَ، والمتشَدِّقونَ والْمتفَيْهِقُونَ؟ قالوا يا رَسُولَ الله: «فَما المتَفَيْهِقُونَ؟ قَال: «المتكَبِّرُونَ».

«رواه الترمذي»

الأبحاث العربية:

الثرثارون: جمع (ثرثار) وهو الشخص الذي يكثر الكلام وقد يصل به الحال الى درجة الهذيان قال الشاعر:

«وزنِ الكلامَ اذا نطقـــــتَ فـــــإنما
يبـــدي عيـــوبَ ذوي العيـــوبِ المنطـــقُ»

المتشدّقون: جمع متشدق وهو الذي يتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فمه، تفاصحاً وتفاخراً، وأصل التشدّق مأخوذ من ملء الشدق فالذي يتكلم بملء فمه للتفصح يقال عنه متشدّق، وقد جاء في لسان العرب: الشدْقُ جانب الفم، والمتشدّق الذي يلوي شدقه للتفصّح.

المتفيهقون: مأخوذ من الفَهْق وهو الأمتلاء، قال الأصمعي: المتفيهقُ الذي يتوسع في كلامه ويفهق (أي يملأ) به فمه قال الأعْشى:

تـــــروحُ على آل المحلَّـــــق جفنـــــةٌ
كجَـــابيـــةِ الشيـــخ العِـــرَاقِـــيَّ تَفهَـــقُ

وقد فسّره عليه الصلاة والسلام بأنه المتكبّر لأن المتكبر يتبجّح بكلامه ويشمخ بأنفه استعلاءً على الناس وتكبراً فناسبهُ الوصف.

الأبحاث النحوية:

١ ـ (إن من أحبّكم) إن حرف توكيد ونصب (من) حرف جر زائد (أحبكم) اسم إنّ والخبر هو (أحاسُنكم) وهو مضاف والكاف مضاف اليه. (مجلساً) تمييز وقوله (الثرثارون) خبر إنَّ مرفوع.

٢ ـ قوله (المتكبّرون) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم المتكبرون.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (إن من أحبّكم) جملة خبرية من النوع الطلبي لأنها مؤكدة بإنَّ والغرض منها إفادة المخاطب الحكم ويسمى (فائدة الخبر).

٢ ـ بين جملة (أحبكم إليَّ وأقربكم مني) وجملة (أبغضكم إليَّ وأبعدكم منيّ) من المحسنات البديعية ما يسمى بـ (المقابلة) فقد جاء بلفظ (أحبكم) ويقابلها في الجملة الثانية (أبغضكم) وبين لفظ (أقربكم) ويقابلها (أبعدكم) وبين لفظ (أحاسنكم خلقاً) ويقابلها (الثرثارون) فهي مقابلة بديعة لطيفة تزيد الكلام رونقاً وجمالاً.

والفرق بين (المقابلة و (الطبّاق) أن المقابلة تكون بين معنيين أو أكثر متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، أما (الطباق) فيكون بين لفظتين مثل ﴿**هُوَ الأوّلُ والآخِرُ**﴾ [١] ومثل قوله تعالى ﴿**وأنَّهُ هُوَ أضْحَكَ وأبْكَى**﴾ [٢].

الشرح الأدبي:

بهذه الصورة الجميلة الرائعة، يضع الرسول الكريم صلوات الله عليه حجر الزاوية،

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٣.

(٢) سورة النجم، الآية: ٤٣.

في بناء الشخصية الاسلامية المثالية، وبناء المجتمع المسلم، القائم على الفضيلة، المشيَّد بدعائم التقى والصلاح. ففي هذا الهدي النبويِّ الشريف يبيّن الرسول عليه الصلاة والسلام منزلة (الأخلاق والتربية) في الاسلام، ومكانة المؤمن المتخلق بهذه الأخلاق الكريمة التي هي من أهم مقاصد الاسلام. فالأخلاق سياج الأمم، وميزان تقدمها ورقيها، وعنوان عظمتها وخلودها.. فالأمم لا تحيا بدون أخلاق، ولا تعيش بغير أدب. ولله درّ أمير الشعراء شوقي حيث يقول:

« صلاحُ أمـرك للأخلاقِ مَـرْجِعـه فقوّم النَّفسَ بالأخلاقِ تَسْتَقِمِ »

وقوله أيضاً:

« وإنما الأمـمُ الأخلاقُ مـا بقيـت فـإن هُـمُ ذهبَـتْ أخلاقهـم ذَهَبـوا »

ولقد ضرب الرسول الكريم أروع الأمثلة في الخلق الرفيع، والاستقامة على أمر الله عز وجل، والتحلي بالأخلاق الكريمة والفاضلة، حتى أثنى عليه المولى تبارك وتعالى بقوله ﴿**وإنَّك لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (١). وكفى بهذا الثناء والمديح رفعة وعزة، وسمواً وجلالاً لنبي الهدى ورسول الاخلاق!!.

ولقد وضّح عليه الصلاة والسلام - بهذه الكلمات الروائع - قيمة الأخلاق، ورفع مكانة أهلها، المتخلقين بحميد الخصال، الذين ترسخت فيهم معاني الفضل والنبل، والأدب الرفيع، حتى أصبحت سجية من سجاياهم، وأشاد بفضلهم صلوات الله عليه حين جعلهم أحبَّ الناس عنده وأقربهم مكانة لديه فقال « إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً.. ».

فليست الاخلاق سبب السعادة في الدنيا فحسب، بل هي أساس السعادة وأصل العزة في الدنيا والآخرة، وكفى بجوار الرسول الكريم في دار الخلد والنعيم شرفاً وعلواً لصاحب الخُلُق الرفيع حيث ينال درجة عالية يغبطه عليها كثير من الناس، يوم يكون

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

مجلسه الى جانب مجلس الرسل الكرام والصدّيقين والشهداء ، فهل بعد هذا عز وشرف يدانيه أو يضاهيه ؟

ثمَّ ينتقل الرسول الكريم فيبين في هديه الشريف منزلة الفريق الثاني ، أولئك الذين تجردوا من الفضيلة ، وتعروا عن حميد الأخلاق وحسبهم خسارة أن يكونوا بغيضين إلى رسول الله بعيدين عن مجلس الأنس والسعادة في جواره الشريف وجوار أولياء الله من النبيّين والشهداء والصالحين .

فما أعظم خسارة أولئك وما أشد ندامتهم ؟

★ ★ ★

«الصبر عند الصدمة الاولى»

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أنَسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه أنّهُ قالَ:

(مرّ النبيُّ ﷺ بإمرأةٍ تبكي عِندَ قَبْرٍ فقال لها: «إتّقي الله واصْبري» فقالتْ: إليْكَ عني فإنّكَ لَمْ تُصَبْ بمُصِيبَتي - ولم تعرفه - فقيلَ لها: إنّهُ النّبيُّ ﷺ، فأتتْ بابَ النبيِّ فلم تجدْ عندَهُ بَوّابيّنَ، فقالتْ: لم أعْرِفكَ فَقالَ: «إنّما الصَّبرُ عندَ الصَّدْمةِ الأُولى»)

«رواه البخاري»

الأبحاث العربية:

تبكي: أي تنوح وترفع صوتها بالبكاء والعويل، لذلك أنكر عليها النبي ﷺ وأما البكاء بدون نواح فليس محظوراً بدليل قوله ﷺ «إن العينَ تدمعُ، وإن القلبَ ليحزنُ ولا نقول إلا ما يرضي الله وإنا على فراقكَ يا إبراهيم لمحزونونَ».

إليك عني: اليك: أي تنحّ عني فهو من أسماء الافعال وليس جاراً ومجروراً فهي مثل قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمنُوا علَيْكُم أنْفُسَكُم**﴾ (١) أي الزموها.

الصبر: الصبر هو حبس النفس على ما تكره، والصبر انواع: صبر على المصيبة، وصبر على فعل الطاعة، وصبر على ترك المعصية. قال

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

تعالى: ﴿وبشِّرِ الصَّابرينَ﴾ [1].

الصدمة الاولى: الصدمة الاولى هي: اول نزول المصيبة ووقوعها على النفس فإنها تكون أشد وآلم. وأصل الصدم ضرب الشيء الصلب بشيء صلب مثله ثم استعير للمصيبة الواردة على القلب

الأبحاث النحوية:

(بامرأة تبكي): جملة تبكي من الفعل والفاعل في محل جر صفة لامرأة لأن الجمل من بعد النكرات صفات.

(اليك): اسم فعل أمر بمعنى اذهب وابعد عني.

(ولم تعرفه): جملة في محل النصب على الحال وصاحبها الضمير الذي **هو فاعل** قالت: والتقدير فقالت المرأة للنبي ذلك حال كونها لا تعرفه ﷺ إذ لو عرفته لما خاطبته بتلك الجفوة.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (مرّ النبي) جملة خبرية من الضرب الابتدائي والغرض منها إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى (فائدة الخبر).

٢ ـ قوله (اتقي الله) جملة إنشائية وهو من الإنشاء الطلبي، والغرض من الامر هنا (النصح والارشاد).

٣ ـ قوله (اليك عني) جملة إنشائية طلبية العامل فيها الامر والاداة اسم فعل الامر (اليك) بمعنى ابتعد والغرض (التأنيب واللوم).

٤ ـ قوله (لم اعرفك) جملة خبرية من الضرب الابتدائي والغرض (إظهار الندم).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

٥ ـ قوله (الصبر عند الصدمة الأولى) فيه استعارة لطيفة فقد شبّه وقع المصيبة على الانسان بالصدمة، واستعار(المشبّه به) للمشبّه، على سبيل الاستعارة (التصريحية الأصلية).

ترجمة راوي الحديث:

راوي الحديث هو (أنس بن مالك) الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه يكنى (أبا حمزة) وهو خادم رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين، من الرواية عنه، وقد انتفع ببركة خدمته للنبي ﷺ ودعا له الرسول الكريم، أتت به أمه (ام سليم) إلى النبي ﷺ لما قدم المدينة فقالت له: هذا أنس غلام يخدمك فقبله ﷺ وكناه (أبا حمزة) وكان يمازحه ﷺ بقوله: يا ذا الأذنين.. وقد خدم رسول الله ﷺ عشر سنين ودعا له النبي ﷺ بالبركة في ماله وولده، فكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين. وكان فيه ريحان ينبعث منه ريح المسك وقد قدَّم من صلبه من ولده وولد ولده ما يزيد على مائة قبل موته، وذلك ببركة دعوة الرسول الكريم قال أنس: وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين وإني لمن أكثر الأنصار مالاً وولداً، توفي سنة ٩٣ هـ وله من العمر ١٠٣ سنوات ودفن في البصرة رضي الله عنه وأرضاه.

الشرح الأدبي:

ما أشد وقع المصيبة على النفس حين تكون بعزيز غالٍ، أو ولد حبيب!! إنّها لخطب جلل وكارثة عظيمة قد يضيق عنها الصبر ولا تتحملها النفس، ولكن الدين داوى هذه النفوس الجزعة بما يخفف عنها وقع المصيبة وألم الكارثة. فالمؤمن يعتقد بقضاء الله وقدره وأنّ كل ما يحدث في هذه الحياة، من خير أو شر، ومن نفع أو ضر، إنما هو بقضاء من الله وتقدير منه فيرضى بحكم الله صابراً محتسباً طمعاً في مرضاة الله عز وجل، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة ﴿**ما أصابَ مِن مُصيبةٍ في الأرْضِ ولا في أنفسِكُمْ إلاّ في كتابٍ منْ قَبْلِ أن نَبْرأها إنّ ذلكَ على الله يَسيرٌ ★ لِكَيْلا تأسَوْا على مَا فاتَكُم وَلا تفْرَحُوا بما آتاكُمْ، والله لا يُحبُّ كلَّ**

مختالٍ فَخُور﴾ [1] ... هذا هو فائدة الايمان (بالقضاء والقدر) أن تخف المصيبة على قلب الانسان بسبب اعتقاده انها بإرادة الله ومشيئته بينما الكافر ينفد صبره ويضيع رشده، ولربما أضاع حياته أيضاً بالانتحار، لأنه ليس لديه ما يسليه او يعزّيه، او يخفف المصاب عنه، ولقد كان جزاء الصبر عظيماً عند الله لانه حبس للنفس على ما تكره، وصون لها عن فعل ما يغضب الله، ومقاومة للنوازع الفطرية في نفس الانسان ولذا كان الثواب عظيماً. قال تعالى ﴿**وبَشِّرْ الصابرينَ ★ الّذينَ إذا أصابَتْهُم مُصيبةٌ قَالوا إنّا لله وإنا إليهِ راجِعُونَ ★ أولَئِكَ علَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ورَحْمَةٌ وأولَئكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾** [2]. وفي هذا الحديث الشريف دعوة الى الصبر وتقوى الله لتلك المرأة التي فقدت ولدها، ولكن وقع المصيبة كان عظيماً لذلك، فقد خاطبت الرسول ﷺ بألفاظ لا تليق بمقامه الشريف، ولكن الرسول ﷺ قابلها بالسماحة والعفو، ولم تلبث ان جاءت تعتذر فقبل الرسول اعتذارها وضرب لها أروع الامثال في أسلوب النصيحة بقوله: « إنما الصبر عند الصدمة الأولى ».

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥ ـ ١٥٧.

«الرفق في النصيحة»

الحديث الرابع والعشرون:

عنْ أبي هُرَيْرة رضيَ اللهُ تعالى عنهُ أنهُ قالَ:

« بالَ أعْرابيٌّ في المسْجدِ، فَقامَ النَّاسُ إليهِ لِيَقَعُوا فيه، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: دَعُوهُ وأريقُوا على بولِهِ سَجْلاً من ماءٍ، أو ذنوباً من ماءٍ فإنما بُعِثْتُم مُيَسِّرينَ ولم تُبْعَثُوا مُعسِّرينَ ».

« رواه البخاري »

الأبحاث النحوية:

بال أعرابي: الأعرابي ساكن البادية جمعة أعراب قال تعالى ﴿**الأعرابُ أشدُّ كُفْراً ونِفاقاً**﴾[1] وأما ساكن المدينة فيسمى (الحضَري) وهذا الأعرابي هو (ذو الخويصرة اليماني) وإنما لم يذكر اسمه حفظاً لكرامته، وستراً عليه.

ليقعوا فيه: أي وثبوا نحوه ليضربوه تأديباً له لأنه انتهك حرمة المسجد.

سجلاً: بفتح فسكون أي دلواً من الماء، والسَّجل مثل الذَّنوب وهو: الدلو الممتلئة بالماء.

بعثتم ميسرين: أي خلقتم مؤمنين لتكونوا من أهل الرفق واللين، واليسرُ هو اللطف والرفق ولين الجانب وقد قال ﷺ « بشِّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا ».

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٧.

الأبحاث النحوية:

١ ـ «ليقعوا فيه» اللام لام التعليل، و«يقعوا» مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، والوار فاعل، والجار والمجرور متعلق بيقعوا.

فائدة: تضمر «أن» وجوباً في خمسة مواضع: ١ ـ بعد لام الجحود، ٢ ـ فاء السببية، ٣ ـ واو المعية. ٤ ـ حتى. ٥ ـ «أو» التي بمعنى الى او إلاّ وتضمر «جوازاً» بعد لام التعليل.

٢ ـ «بعثتم ميسرين» بُعِثَ فعل ماضي مبني للمجهول، و«التاء» نائب الفاعل، والميم للجمع و«ميسرين» حال منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم والنون عوض عن التنوين.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ بال اعرابي: جملة خبرية من النوع الابتدائي غرضها إفادة المخاطب الحكم ويسمى «فائدة الخبر».

٢ ـ في المسجد: مجاز مرسل علاقته الكلية فقد أطلق الكل وهو «المسجد» واراد به الجزء وهو «الناحية» لأن القرينة تدل على ذلك لاستحالة أن يبول الشخص في جميع المسجد، فإطلاق اللفظ الكلي وإرادة الجزئي منه يسمى «مجازاً مرسلاً».

٣ ـ دعوه وأريقوا: جملة انشائية الأمر فيها للوجوب، ويوجد في هذه الجملة أمران، والمراد بالأمر هنا (الزجر) والتوبيخ.

٤ ـ بعثتُم ميسرين: بين هذه الجملة، والجملة الثانية «ولم تبعثوا معسرين» طباقٌ يسمى (طباق السلب) وهو كما عرّفه علماء البلاغة: ان يجمع بين فعلين من مصدر واحد احدهما مثبت والآخر منفي، مثل قوله تعالى ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَاس ولا**

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ﴾ [1].

٥ ـ بين لفظتي «ميسّرين ومعسّرين» جناس يسمى (الجناس الناقص) فقد تغيّر الحرف الثاني فأصبح بدل الياء عين وهو ما يسمى بالجناس الناقص، وفي الجملة أيضا سجع.

الشرح الادبي:

ما أجمل الإسلام رسالة الهداية والإصلاح، ودين السماحة واليسر!! وما أسمى تعاليمه الحكيمة التي تدعو الى الرفق واللين في النصح والإرشاد، وإلى معالجة المشكلات الاجتماعية بطريق الرأفة لا الغلظة، وبأسلوب اللين لا الشدة! ولا عجب فهذا أدب أدّب الله به رسوله الكريم وخاطبه بقوله ﴿**وَلَوْ كنتَ فَظّاً غليظ القلبِ لانْفَضّوا مِنْ حولِك**﴾ [2] وعلمه الرسول صلوات الله عليه لأصحابه حين قال لهم «إنما بعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين». هذا هو أعرابي يدخل مسجد الرسول ﷺ فيتنحى طائفة منه يقف يتبول، لا يعرف هذا الاعرابي امور الدين، ولا يدري حرمة المساجد التي أمر الله ان تعظم وتطهر.. يظن هذا الأعرابي ان المسجد كبقية الاماكن، ليس هناك ما يمنع من التبول فيه او قضاء الحاجة، وليس له من عذر إلا انه جاهل، ويرى أصحاب رسول الله هذا المنظر المؤذي، منظر الأعرابي يتبول في المسجد، فيسرعون نحوه يريدون ضربه وتأديبه، لأنه أساء الى حرمة بيت الله، ويأمرهم الرسول الرحيم بالكف عنه وعدم ايذائه او ضربه، لأن الجاهل ينبغي ان يُعلَّم لا ان يضرب، فإن الضرب ينفر ولا يؤدب والرسول الكريم يقول: «بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا» يأمرهم الرسول بعدم التعرض له بمسبة أو أذى، ويكلفهم ان يريقوا على بوله دلواً من ماء تطهيراً للمكان من النجاسة، ثم يدعو الاعرابي فيعلمه برفق ولين، ويرشده الى ان هذا بيت من بيوت الله عز وجل، لا يليق بالمسلم ان يحدث فيه أذى،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

او يعرضه لنجاسة، ويتلطف معه عليه الصلاة والسلام حتى يشعر الاعرابي من نفسه بخطئه ويندم على عمله، ويطلب من الرسول الكريم العفو والسماح، وهنا يقبل الرسول ﷺ على اصحابه مرشداً لهم الى طريق الرفق في الدعوة، واللطف في المعاملة، قائلاً لهم: «إنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين».

وقد جاء في بعض الروايات الصحيحة ان ذلك الاعرابي حين اراد الخروج من المسجد ركب ناقته ثم قال: «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً»، وذلك لأنه رأى اللطف من الرسول الكريم على خلاف اصحابه حينما هجموا عليه ليضربوه، وسمعه الرسول يقول ذلك فقال له: «لقد حجَّرت أي «ضيَّقت» واسعاً يا اخا العرب» يريد منه ان يعم بدعوته لا ان يخصها بنفسه وبرسول الله فقط. ولو ان المسلمين تمسكوا بهذا الخلق الرفيع ـ من الرفق في الدعوة، وحسن النصح والإرشاد ـ لعاشوا سعداء ولما كانت بينهم مشاحنات، ولوصلوا الى الغاية المنشودة من اقرب طريق..

وهكذا يكون اسلوب الدعوة وأسلوب النصح والتذكير وخاصة مع الجاهل، فلله ما الطف اخلاق الرسول، وما اروع تربيته، وما أحوج المسلمين الى مثل هذه التربية الحميدة الرشيدة التي تخرج العظماء والابطال!!

«جهاد النفس»

الحديث الخامس والعشرون:

عَنْ (أبي يَعْلى) شَدَّادِ بنِ أوْسٍ رَضِيَ الله تعالى عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ:

«الكيِّسُ من دانَ نفْسَهُ وعَمِلَ لما بعدَ الموتِ والعَاجِزُ من اتّبعَ نَفْسَهُ هَواهَا، وتمنَّى على الله الأماني».

«رواه الترمذي»

الأبحاث العربية:

الكيِّس: العاقل، الحليم، الرشيد، والكياسة: الرزانة، قال الحطيئة:

«والله مـــا معشر لامـــوا امـــرءاً جنبـــاً
مـــن آل لأي بـــن شماس بـــأكيـــاسِ»

والمراد في الحديث: العاقـل الذي يجتنـب الموبقـات، والاستمتـاع بالشهوات.

دان نفسه: أي حاسب نفسـه، والديَّـان: المحـاسـب الذي يجازي عبـاده على اعمالهم، ومنه الحديث: «البرُّ لا يَبْلى، والذَّنب لا يُنسى، والديّان لا يموت، إعمل ما شئت كما تدينُ تُدان» اي كما تفعل تجزى، و(يوم الدين) هو يوم الجزاء.

بعد الموت: اي عمل للآخرة، والمراد انه عمل صالحاً ينفعه بعد موته، ويؤنسه في وحشة قبره، وما أجمل قول الشاعر:

«لا ينفـــــعُ الإنســـــانَ في قبره
إلا التقـــى والعمـــلُ الصـــالـــح»

العاجز: أي ضعيف التفكير في العواقب، وهو المتهاون والمقصر في واجباته.

أتبع نفسه: أي سار وراء شهواته، وأرخى العنان لنزواته، فهو ممن يتّبع هواه ولا يطيع امر الله، واتباع الهوى سبب الضلال، قال تعالى ﴿**وَلاَ تتَّبع الهَوى فَيُضِلَّك عَنْ سَبيلِ الله**﴾[1].

تمني الأماني: أي اشتهى على ربه ان ينيله الجنة، ويمنحه الدرجات الرفيعة، مع انه مقصر في واجباته، منهمك في المعاصي والموبقات، والجنة انما تكون للعاملين.

الابحاث النحوية:

(الكيّس من دان نفسه) الكيّس مبتدأ وخبره اسم الموصول (مَنْ) و (نفسه) مفعول به لدان، وجملة (دان نفسه) صلة الموصول، (عمل لما بعد الموت): عمل فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الكيس واللام حرف جر. (ما) اسم موصول بمعنى الذي في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلق بعمل، (بعد) ظرف زمان، و (الموت): مضاف اليه.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (الكيّس من دان): جملة خبرية من الضرب (الابتدائي) والغرض من الخبر تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله.

٢ ـ (بعد الموت): كناية عن الدار الآخرة، والاستعداد لها بصالح الأعمال، فما بعد الموت إنما هي الآخرة ويوم الحساب.

٣ ـ قوله (تمنّى الأماني): فيه من المحسّنات البديعية ما يسمّى بـ (جناس الاشتقاق).

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.

٤ ـ قوله (الكيِّس من دان نفسه...) وقوله (والعاجز من أتبع نفسه...) بين هاتين الجملتين من المحسنات البديعية ما يسمى بـ (المقابلة) وقد تقدم تعريفها والتمثيل عليها.

ترجمة الراوي:

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل (شدّاد بن أوس) ويكنى (أبا يعلى) وهو من الأنصار، ومن الشجعان الابطال، عاش في المدينة المنورة، وكان من اهل العلم والعمل. ومن اهل الحلم والوقار، وهو ابن اخ (حسان بن ثابت) الشاعر المشهور.. وقد كان رضي الله عنه كثير العمل، واسع المعرفة، حسن العشرة، مات (ببيت المقدس) وهو ابن خمس وسبعين سنة وقبره باق بظاهر باب الرحمة إلى الآن، وكانت وفاته سنة ثمان.وخمسين هجرية رضي الله عنه وأرضاه.

الشرح الأدبي:

في توجيهٍ نبوي رائع، وفي اسلوب تربوي رشيد، يضع الرسول صلوات الله وسلامه عليه اللبنة الأولى في تكوين الفرد الصالح، وبناء المجتمع الفاضل، الذي تظلّله الفضيلة، وتغمره السعادة، وتنتظم افراده المحبة والاخوّة، والوئام!!

إنها تربية الاسلام المجيدة، التي تعتني بالفرد، تعتني بسلوكه واخلاقه تعتني بنزعاته ورغباته، بميوله واتجاهاته، فتوجهه الوجهة الصالحة، التي تكفل له السعادة في الدنيا، والراحة في الآخرة، وتجعل منه عضواً نافعاً في المجتمع، وانساناً، «مثالياً» يعيش بين اخوانه واقرانه عيشة الشرفاء، الذين يعرفون ما لهم وما عليهم، فلا يظلمون ولا يعتدون.. ولا يحاولون ان يسلكوا الطريق الملتوية التي يزينها لهم الشيطان!!

وهكذا ـ في إيجاز وروعة ـ يقسم النبي ﷺ الناس إلى قسمين، ويجعلهم صنفين اثنين:

١ ـ صنف عرف غاية وجوده في هذه الحياة.. فجدّ واجتهد، وكافح وناضل، وحاسب نفسه على ما قدّمت من اعمال، فزجرها عن الشر، ودفع بها نحو الخير، وسما

بها الى درجات الكمال.. وهذا الصنف من البشر، هم الصفوة، هم الأخيار الأطهار، هم (العقلاء) الذين ادركوا سرّ هذه الحياة، فتزودوا من دنياهم لآخرتهم، ووقفوا عند حدود الله، فكفّوا جوارحهم عن الآثام والموبقات، وابتعدوا عن المحرمات والشهوات، ونظروا الى الدنيا نظرة البصير العاقل، الواعي المتدبر، الذي لم تؤثر فيه عواصف المدنيّة الهوج، ولا أساليبها الماكرة الخادعة.. وهناك أدركوا حقارة الدنيا الفانية، فأقبلوا على الآخرة بصدق واخلاص، وإيمان ويقين، واجهدوا انفسهم في طاعة الله، فكانوا من السعداء الابرار!.

٢ - والصنف الآخر هم الذين اخطأوا الفهم الصحيح للحياة.. ولم يدركوا سر وجودهم فيها، فساروا مع اهوائهم، وعاشوا لشهواتهم، وظنوا الحياة خالدة لهم، فلم يعرفوا من الدنيا إلا التمتع باللذائذ والشهوات، ولم يدركوا منها إلا كما يدرك الحيوان الأعجم من العيش في سبيل الطعام، والشراب، والشهوة ولسان حالهم يقول:

« إنمـــا الدنيـــا طعـــام وشـــراب ومنـــــامُ »
« فـــإذا مـــا فـــات هـــذا فعلـــى الدنيـــا الســـلامُ »

إنهم « عبيد » البطون، و « عبيد » الشهوات، الذين أصبح لهم نسبٌ عريق مع البهائم والحيوانات ﴿يَتمتَعُونَ ويأكُلونَ كما تَأكُلُ الأنعامُ والنارُ مثوىً لَهُمْ﴾[1]... وصدق الله: ﴿إنْ هُمْ إلاّ كالأنعَامِ بلْ هُم أضلّ سبيلاً﴾[2]!!

هؤلاء هم الذين يسيرون مع أهوائهم، لا يفكّرون في حساب ولا عقاب، ثم يطمعون في رحمة الله مع انهم لم يقدموا لآخرتهم شيئاً.. لقد عاشوا لشهواتهم، وعاشوا لبطونهم، لا يعرفون سراً للحياة إلا التمتع بشهواتها الفانية، غير مفكرين بمستقبل او مصير.. وهؤلاء - لعمر الحق - هم الخاسرون النادمون، الذين فرطوا في جنب الله، فأساءوا الى أنفسهم واوردوها موارد الهلكة... فيا لهم من بلهاء، ويا لهم من أناس مغفلين!!

---

(١) سورة محمد ﷺ، الآية: ١٢.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

«تربية الابناء»

الحديث السادس والعشرون:

عَنْ عَلِيّ كرَّم اللهُ وجههُ أنّ النبيَّ ﷺ قالَ:

«أدِّبوا أولادَكُم على ثَلاثِ خِصالٍ: حُبِّ نبيّكُمْ، وحُبِّ آلِ بيتِه، وتِلاوةِ القُرآن، فإنَّ حَمَلَةَ القرآنِ في ظِلِّ عَرْشِ اللهِ، يوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلَّهُ مَع انبيائِهِ وأصْفِيائِهِ»

«رواه الطبري»

الأبحاث العربية:

أدبوا: الأدب بمعنى التربية الفاضلة والخلق الحميد قال الشاعر:

«كلّما أدّبني الدهر أراني ضعف عقلي»
«وإذا ما ازددت حلماً زادني علماً بجهلي»

وفي الحديث «أدّبني فأحسن تأديبي» أي ربّاني فأحسن تربيتي.

أولادكم: الولد يطلق على الذكر والانثى قال تعالى ﴿**يُوصيكُمُ اللهُ في أولادِكُمْ**﴾ (١) واما الابن فهو خاص بالذكر.

خصال: جمع خصلة وهي السجية والخلة الحميدة قال ﷺ للأشج: «إن فيك خَصْلتين يحبهما الله ورسوله: الحِلمُ والأناة».

حملة القرآن: أي حفظة القرآن، العاملون به، المهتدون بهديه وفي الحديث

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

الشريف: (أشراف أمتي حملة القرآن) فالمستمسكون بالقرآن العاملون به هم السادة الأشراف، ولا شرف أعظم من شرف حامل القرآن.

آل بيته: الآل بمعنى الأهل: قال (دعبل الخزاعي) يمدح آل البيت:

« ملامَـــــكَ في آل النبي فـــــإنهم
أحبّـاي مـا عـاشـوا وأهـل ثقـاتي »

وهم اقرباء الرسول وعترته، وفي الحديث: « آل محمد كلّ تقي » وقد اثنى الله على آل البيت بقوله ﴿**إنّما يُريدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أهْلَ البيتِ ويُطهِّرَكُمْ تطْهيراً**﴾ [1].

أصفيائه: جمع صفيّ وهو الحبيب المقرّب، وفي الحديث القدسي « ما لعبدي المؤمن إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة ».

« رواه البخاري »

الابحاث النحوية:

(أدّبوا اولادكم): أدبوا فعل امر، والواو فاعل، اولادكم مفعول به وهو مضاف. (على ثلاث خصال) الجار والمجرور متعلق بأدّبوا و (خصال): مضاف اليه. (حب نبيكم): حبّ بدل من (ثلاث خصال) ونبيّكم مضاف اليه.. (فإن حلة): (إنّ): حرف توكيد ونصب. و (حلة): إسمها، والجار والمجرور (في ظل) متعلق بمحذوف خبر إنّ تقديره: مظلّلون في ظل عرشه. (لا ظلّ إلا ظله): لا: نافية للجنس و (ظلّ) اسمها منصوب، وخبرها محذوف تقديره (موجود أو كائن) و (إلا) أداه حصر و (ظله) بدل من الخبر، وهذه الجملة مثل (لا إله إلاّ الله) في الإعراب فتنبّه.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (أدّبوا اولادكم) جملة إنشائية طلبية الغرض منها الإرشاد.

٢ ـ قوله (آل بيته) الإضافة هنا للتكريم والتشريف مثل ﴿ناقَةَ اللهِ﴾[1]. فإن اضافتها اضافة تشريف.

٣ ـ قوله (حملة القرآن) والمراد بهم الحفظة وفيه كناية لطيفة فقد كنّى عن المشتغلين بحفظ القرآن وتلاوته بـ (الحملة) وذلك لشدة ملازمتهم لتلاوته وحفظه والعمل بما فيه.

٤ ـ قوله: (لا ظلّ إلا ظله) فيه كناية لطيفة فقد كنى عن الحماية والرعاية التي تكون لهؤلاء المحسنين بالظلّ، وقيل إنه ظلّ حقيقي يستظل به المؤمنون يوم القيامة.

الشرح الأدبي:

بالتربية السليمة، والأخلاق القويمة، تُبنى الأمم وتشاد الحضارات وتتربى الأجيال الصاعدة، التي تقيم المدنية والرقي، وتوجد الحضارة والازدهار... ومن أجل اشادة دعائم المجتمع، على اسس متينة كريمة، اهتم الإسلام بتربية الأبناء، وتنشئتهم النشأة الصالحة، التي تجعل منهم رجالاً وابطالا، وتدفع بهم الى المعالي، وإلى محاسن الامور.

ولقد وجه النبي الكريم الآباء الى تربية الأبناء والعناية بهم وتعويدهم على الفضائل ومكارم الاخلاق، وذلك بغرس بذور الايمان في قلوبهم، ورعاية جميع شؤونهم، لان الطفل إذا اهمل فسدت اخلاقه، وتلوثت طباعة، واصبح شخصاً غير مهذّب وغير نافع في الحياة، بل أصبح جرثومة في المجتمع.

---

(١) سورة الشمس، جزء من الآية: ١٣.

١ ـ وأول ما ينبغي على الوالد فعله ان يعوّد طفله على طاعة الله ومحبته، وتعظيم شعائر الدين، وأن يغرس في نفسه حب الرسول العظيم الذي حقه أعظم من حق الوالدين، وحبه ينبغي ان يقدم على حب الوالد والولد، بل على حب النفس، لأنه سبب لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولولاه لبقينا في الشقاء والضلال، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام «والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم، حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين» ومن علامات الإيمان ان يكون الله ورسوله احب الى الانسان من كل احد في هذه الحياة.

٢ ـ ومن محبة الرسول ﷺ تتولد محبة (آل البيت)، محبة آله وعشيرته، لأن من أحب شخصاً احب من يلوذ به وينتسب اليه، ولا شك ان آل بيت النبي ﷺ هم احق الناس بالحب والتقدير، وقد اثنى الله عليهم بقوله ﴿**إنما يريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجسَ اهلَ البيتِ ويطهركم تَطهيراً**﴾[1]، فمحبتهم محبة للرسول، وتكريمهم تكريم له ﷺ.

٣ ـ ومما ينبغي العناية، والحرص عليه كل الحرص، ان نعلم الطفل تلاوة الكتاب المجيد، وان نغرس حبه وتعظيمه في قلبه، فبه يتنور المؤمن، وبه يصبح في مراتب اهل الشرف والفضل الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: «أشراف امتي حملة القرآن» وقال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» فهم السادة، وهم القادة، ولهذا ختم عليه الصلاة والسلام الحديث الشريف بقوله: «فإن حملة القرآن في ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه».

وكفى بهذا شرفاً وفخراً لحمله القرآن... اللهم وفقنا لتلاوته وارزقنا العمل بما فيه انك سميع مجيب الدعاء.

* * *

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

«ضياع الأمانة»

الحديث السابع والعشرون:

عنْ أبي هُريرة رضيَ الله تعالى عنهُ أنَّه قالَ:

« بينما النبيُّ ﷺ يُحَدِّث القومَ جاءَهُ أعرابيّ فقالَ: متى السَّاعة؟ فَمضى رسولُ الله ﷺ يُحدِّث، فقال بعضُ القومِ: سمعَ ما قال فكره، ما قالَ، وقال بَعْضُهم: بلْ لم يَسْمعْ، حتَّى اذا قَضى حديثَهُ، قالَ: أينَ السَّائلُ عنِ السَّاعةِ؟ قَالَ: ها أنا يا رسُولَ الله، قال: إذا ضُيِّعتْ الأمانةُ فانْتظرْ السَّاعة، قالَ: وكيف إضاعتُها؟ قالَ: إذا وُسِّدَ الأمر الى غَيْرِ أهْلِهِ فانْتظِرِ السَّاعةَ ».

« رواه البخاري »

الأبحاث العربية:

بينما: أي في اللحظة التي كان يحدّث فيها القوم ويعظهم.

يحدّث القوم: المراد بالتحديث: الوعظ والتذكير، فقد كان ﷺ يعظ اصحابه ويذكرهم بين الفينة والفينة، ولا يكثر عليهم خشية الملل والسآمة.

متى الساعة: المراد بالساعة القيامة وخراب الدنيا، وإنما سميت القيامة بالساعة لأنها تأتي كلمح البصر في مدة زمنية قصيرة **﴿ومَا امرُ السَّاعةِ إلا كلمْحِ البَصرِ أو هو أقرب﴾** [1].

فمضى رسول الله: أي استمرّ في حديثه، ولم يردّ على السائل، تنبيهاً له الى تعلّم ادب

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٧.

الحديث، وعدم مقاطعة المحدّث.

كره ما قال: كرّر لفظ القول (سمعَ ما قالَ، فكره ما قالَ) وذلك لدفع الالتباس، لئلا يوهم انّ الكراهية كانت للسائل.

ضيّعت الامانة: المراد بالأمانة كل ما ائتمن الله تعالى عليه عباده من تكاليف شرعية وواجبات دينية، وقد فسّرها الحديث الشريف باسناد الأمور الى غير اهلها.

وسّد الأمر: أي اسند الامر الى غير أهله وَوُكِلَ الى من لا يصلح له، كتسليم الجاهل امور التعليم، وتولية الخائن وظائف الدولة، واسناد الشؤون العامة الى من لا يحسن التدبير كالمرأة وقد قال ﷺ «لَنْ يُفْلحَ قومٌ ولّوا أمرهم امْرأة» وفي الحديث: «إذا كانتْ امورُكم إلى نسائكم فبطْنُ الارضِ خيرٌ لكم من ظَهْرِها» ومعنى الحديث الشريف: الموت خير لكم من الحياة.

الأبحاث النحوية:

(بينما النبيّ) بينَ ظرف زمان منصوب على الظرفية (وما) زائدة و(النبيُّ) مبتدأ وجملة (يحدث القوم) في محل رفع خبر.

(متى الساعة؟): (متى) اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم، و«ما» اسم موصول بمعنى الذي مفعول به، و«قال» صلة الموصول.

«اين السائل عن الساعة؟» اين اسم استفهام خبر مقدم و«السائل» مبتدأ مؤخر، و«عن الساعة» جار ومجرور متعلق باسم الفاعل «السائل» وإنما تقدم الخبر على المبتدأ لأن اسماء الاستفهام لها الصّدارة.

«كيف إضاعتها»: كيف اسم استفهام خبر مقدّم و«إضاعتها» مبتدأ مؤخر وهو مضاف والهاء مضاف اليه.

« إذا وسّد الأمرُ » إذا شرطية غير جازمة و « الأمرُ » نائب فاعل « لوسّد » والجار والمجرور « إلى غير » متعلق بوسّد « فانتظر » الفاء واقعة في جواب الشرط « انتظر » فعل امر و « الساعة » مفعول به.

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (بينما النبي يحدّث) جملة خبرية من الضرب الابتدائي، والغرض منها « فائدة الخبر » و « بينما » مثل « بينا » من ظروف الزمان و « ما » زائدة.

٢ ـ قوله « متى الساعة؟ » لفظ « الساعة » كناية عن القيامة، وعن نهاية الدنيا، وفناء العالم، وقد كثر استعمال الساعة مكان القيامة حتى اصبح كأنه حقيقة معلومة.

٣ ـ قوله « فكره ما قال » تكرار الجملة الفعلية « قال » يفيد الايضاح ودفع الالتباس والإيهام.

٤ ـ قوله « ضيّعت الأمانةُ » شبّه التكاليف الشرعية بالأمانة، بجامع وجوب الحفظ والرعاية في كلٍ، ثم حذف المشبه وصرح بالمشبّه به، على سبيل « الاستعارة الصريحية.

٥ ـ قوله « إذا وسّد الامر الى غير اهله » كناية عن إسناده الى غير الأكفاء ذوي الجدارة.

الشرح الأدبي:

في مدرسة النبوّة، وعلى يدي النبي الهادي الكريم، والمربي الأعظم ﷺ تلقى أصحاب رسول الله علومهم، ونشأوا تلك النشأة الفاضلة، بعد ان غرفوا من بحر الكمال، ونهلوا من معين العلم، فكانوا نجوماً زاهرة، وبدوراً ساطعة، وتخرجوا من مدرسة النبوّة يحملون للعالم مشاعل الهداية والنور، ويرشدونهم الى طريق الخير والسعادة!.

من أين تخرّج اصحاب رسول الله؟ واين درسوا، ومن اي جامعة كبيرة حلوا هذه الشهادات العالية الرفيعة، التي اصبحوا بها اساتذة الدنيا وأساطين العلم والثقافة؟!

إنهم درسوا على يدي النبي الكريم، وتلقوا علومهم من «فم» النبوّة، وتخرجوا من «المسجد» الذي كان ـ ولا يزال ـ أكبر مصدر للإشعاع العلمي، وأعظم مركز للعلوم والعرفان، فمنه تخرّج العلماء والأدباء، ومنه ظهر الشجعان والأبطال، وقد صدق من قال:

«أطلعَ المسجدُ الكريم أناساً أنتجتهمْ مدارسُ القُرآنِ»
«صَقَلتهم يدُ النبيِّ فأضْحوا غرَّة الدَّهرِ في جبينِ الزمانِ»

هذا هو رسول الله ﷺ يجمع أصحابه في المسجد، ويجلس الى جانبهم كواحد منهم ليعظهم ويذكرهم ويرشدهم الى ما فيه سعادة الدنيا، والآخرة، ويدخل اعرابي فيرى رسول الله يحدّث أصحابه فيقف يستمع الى هديه الشريف، ثم يلقي عليه سؤالا قبل ان يتمم الرسول ﷺ كلامه، يسأله عن الساعة يريد ان يعرف احوالها ويظهر من سؤاله انه كان مشغول البال والفكر بأمر الساعة وامر القيامة، ولكن الرسول عليه افضل الصلاة والتسليم لم يجبه، وبقي متابعاً لحديثه، وهنا يظن بعض الصحابة أن الرسول الكريم لم يسمع سؤاله، والبعض الآخر يقول: إن الرسول قد سمع كلامه، ولكنه كره ان يجيبه لانه لم يتمم بعد حديثه ويستمر الرسول في حديثه حتى اذا انتهى منه التفت الى اصحابه يسألهم أين السائل عن الساعة؟ فيجيبه الاعرابي ها اناذا يا رسول الله، اي ها انا حاضر بين يديك اسمع لكلامك، وكلّي انتباه الى ما تقول، فيجيبه الرسول ﷺ بتلك الكلمة الرائعة الجامعة «اذا ضيّعت الامانة فانتظر الساعة» وحقاً انها لكلمة هادفة، وحكمة بالغة من جوامع كلمه ﷺ فالأمانة إذا ضاعت، والمسؤولية اذا فقدت، والأمور إذا تقلدها الجهّال، وأصبحت الحياة فوضى، فإن ذلك أكبر برهان على قرب قيام الساعة ولقد أحسن من قال:

«لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سَرَاة لهمْ
ولا سَراة إذا جُهّالهمْ سادوا»
«تَبقى الأمور بأهلِ الرأي ما صَلحت
فإنْ تولّت فبالأشرارِ تَنقادُ»

فالأعمال إذا تسلّمها الأغرار الجهال، ومقاليد الحكم إذا اصبحت بيد الأشرار والفجار فسلام على الدنيا وسلام على اهلها، ولقد صدق المصطفى الهادي البشير حين قال:

« إذا كانُ امراؤُكم شِرارُكم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمورُكم إلى نسائِكم، فبطنُ الأرضِ خيرٌ لكمْ منْ ظَهْرِها ».

★ ★ ★

«موعظة النساء»

الحديث الثامن والعشرون:

عنْ عبدِ الله بن عمر رضيَ الله عنهُما أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ:

« يا معشرَ النّساءِ تصدّقنَ وأكْثِرْنَ من الاستغْفارِ، فإني رأيْتكنّ أكثرَ اهلِ النّارِ. فَقالتْ امْرأةٌ منهُنّ جَزْلَةٌ: وما لَنا يا رسُول الله أكثر أهلِ النار!!! قالَ: تُكْثِرْنَ اللّعنَ، وتَكْفُرنَ العشير.. وما رأيْتُ مِنْ ناقصاتِ عَقلٍ ودِينٍ أغلبَ لِذي لُبٍ منكنّ قالتْ يا رسولَ الله: وما نُقصانُ العقلِ والدّين؟ قال: أما نُقصانُ العقلِ فشهادةُ امرأتين تعدِلُ شهادةَ رجلٍ، فهذا مِنْ نُقصان العقل، وتمكثُ اللّيالي ما تُصلّي وتُفطرُ في رمضانَ، فهذا مِنْ نُقصانِ الدّين ».

« رواه البخاري وابن ماجة »

الأبحاث العربية:

يا معشر النساء: المعشر: الجماعة. قال تعالى ﴿**يا معْشَرَ الجنّ والإنسِ**﴾[1] وفي الحديث: « يا معشرَ الشبابِ من استطاعَ منكم البَاءةَ فليَتزوّجْ.. » وهو مفرد في اللفظ ولكنه جمع في المعنى. قال الأزهري: المعشر مثل النفر، والقوم، والرهط، كلُّها معناها الجمع، ولا واحد لها من لفظها، ويجمع المعشر على معاشر فهو جمع الجمع قال ﷺ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث... » الحديث.

رأيتكُنّ: أي علمتكن اكثر اهل النار (فرأى) هنا قلبية، وليست بصرية،

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٣٣، وسورة الأنعام، الآية: ١٣٠.

وجاء في رواية البخاري (أريتُكن) بدل (رأيتكن) فتكون حينئذ رؤيا منامية رآها النبي ﷺ في نومه.

امرأة جزلة: قال ابن الاثير: امرأة جزلة: اي ذات رأي وذات شجاعة، ويجوز ان يكون المعنى: ذات كلام جزل اي قوي شديد.

تكثرن اللعن: اللعن في اللغة الشتم والسب، والمراد به هنا الطرد من رحمة الله قال تعالى لإبليس: ﴿وانَّ عليكَ لَعْنتي إلى يومِ الدِّينِ﴾ [1] وفي الحديث: «من ادعى الى غير أبيه، اوو انتسب الى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». فالمرأة من عادتها إكثار الشتم واللعن حتى لأولادها.

تكفرن العشير: المراد بالكفر هنا جحود نعمة الزوج، و(العشير) من العشرة وهي الصحبة، قال تعالى ﴿وعاشِروهُنَّ بالمعْروفِ﴾ [2]، وسمي بالعشير لأنه يعاشر زوجته وتعاشره. قال (الفراء): ويجمع العشير على (عشراء) كجليس وجلساء، ولكنّ العرب تكره هذا الجمع لئلا يشابه قولهم(ناقة عشراء) ويستبدلونه بقولهم (معاشروك، وعشيروك).

لذي لب: المراد بذي اللب: الرجل العاقل الحازم، واللب: هو قلب الثمرة وهو أفضل ما فيها، ويطلق على العقل لأنه افضل ما في الانسان. قال تعالى ﴿فاعْتَبِروا يا أولي الألبابِ﴾ [3] وجاء في رواية البخاري ما يدل على صورة كُفْران المرأة وجحودها لنعمة الزوج (لو احسنتَ إلى إحداهنَّ الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيتُ منك خيراً قطُّ).

---

(١) سورة ص، الآية: ٧٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢. ونص الآية في القرآن ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾

ناقصات عقل: العقل ضد السفه والحماقة، وهو مأخوذ من (عقال الناقة لأنه يعقل صاحبه اي يحبسه عن السفه والجهل، ولهذا قال العرب: عقَلَ الدواء بطنه. أي أمسكه عن الانطلاق.. قال (العيني): (والعقل، والحِجَى، والنُّهى) كلها متقاربة في المعنى قال تعالى ﴿**إنّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يعقِلونَ**﴾[1]. والمراد بنقص العقل خفته، وعدم التصرف السليم، وذلك بسبب (العاطفة) وتغلبها عند المرأة، بخلاف الرجل فإن عقله يغلب على عاطفته، قال الشاعر:

« ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمِ »

تمكث الليالي: أي تلبث الأيام والليالي بدون صلاة ولا صيام بسبب الحيض، أو النفاس.

الأبحاث النحوية:

(رأيتكنَّ أكثرَ) رأى تنصب مفعولين لأنها ليست بصرية و (الكاف) الضمير مفعول أول و (اكثر) مفعول ثانٍ، قال ابن مالك:

« انصبْ بفعلِ القلبِ جُزْأي ابتدا: أعني رأى، خالَ، علمتُ، وجدا »

(امرأة جزلة) امرأة فاعل و (جزلة) صفة لها، وصفةُ المرفوع مرفوع.. وجملة (تكثرن اللعن) مقول القول، (من ناقصات)،: مِنْ: زائدة و (ناقصات) مفعول أول، و (أغلبَ) مفعول ثانٍ وهو أفعل تفضيل.

فائدة: يشترط في (مِنْ) الزائدة ان يسبقها نفي او استفهام، وأن يأتي بعدها نكرة، قال ابن مالك:

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤.

«وزيد في نفيٍ وشبهه فجر: نكرةً كما لباغٍ منْ مفرّ»

الأبحاث البلاغية:

١ ـ قوله (أكثرن الاستغفار، رأيتكن اكثر اهل النار) فيه من المحسّنات البديعية ما يسمى بـ (السّجع) وقد تقدّم تعريفه وشرطه فيما سبق.

٢ ـ قوله (تكثرن) و(تكفرن) بينهما من المحسّنات البديعيّة، ما يسمى بـ (الجناس الناقص) وذلك لاختلاف بعض الحروف فيه.

٣ ـ قوله (لذي لبّ) كناية لطيفة فقد كنّى عن (الرجل الحازم البصير بذي اللّب. فهو كناية عن (موصوف) وقد جاء التصريح بذكر الرجل في رواية البخاري الأخرى (ما رأيت من ناقصاتِ عقلٍ ودين أذهب للُبِّ الرجلِ الحازِم منكنّ).

٤ ـ قوله (أما نقصان العقل.. الخ) فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بـ (التقسيم) وهو أن يذكر متعدد، ثم يضاف الى كل قسم ما له على جهة التعيين مثل قوله تعالى ﴿**كذّبت ثمودُ وعادٌ بالقارعَةِ★ فأمّا ثمودُ فأهلِكوا بالطّاغِية★ وأما عادٌ فأهلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتية**﴾[1] وهنا جمع بين (العقل والدين) ثم اضاف الى كل ما يخصّه من شواهد النقص.

الشرح الأدبي:

ليس من شك في أن النساء شقائق الرجال، وعلى كواهلهن تبنى الأجيال وتقوم المجتمعات، والاسلام اول من نادى بتحرير المرأة من الظلم والطغيان، وأقامها الى جانب الرجل معززة مكرمة، موفورة الكرامة، وامتنّ على الانسان بأن خلق له من جنسه شريكة الحياة، تواسيه في السراء والضراء، وتبادله الحب والعطف، وتدفع عنه قسوة العيش، ومرارة العذاب، فقال عزّ من قائل ﴿**ومِنْ آياتِه انْ خلقَ لكُمْ مِنْ أنفُسِكُم أزواجاً لِتَسْكُنوا اليها، وجَعلَ بينَكُمْ مودّةً ورَحْمةً**﴾[2].. ولكنّ المرأة

---

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٤ ـ ٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

التي خلقت لتكون (جنة) قد تكون (جحيماً) والمرأة التي هي السبب الاول في نعيم الرجل قد تكون سبباً في شقائه.. وذلك بسبب طغيانها وتمردها، فهو نور وظلام، وجنة وجحيم، وسعادة وعذاب، فهي تستطيع ان تجعل حياة الرجل سعادة او شقاوة وتستطيع ان تذيقه طعم النعيم، او طعم الجحيم!..

والرسول عليه الصلاة والتسليم بهذا التوجيه النبوي الرشيد الذي يصل الى سويداء القلب. والذي يتناول النفس من جوانبها ويسبر اعماقها، يعالج ـ بدقة وحكمة ـ هذا الانحراف والشذوذ الموجود عند الكثيرات من النساء كأنه فطرة او طبيعة، ويخاطب فيهن العاطفة الرقيقة التي ستحرك فيهن جذوة الايمان...

أخرج البخاري في صحيحه ان النبي ﷺ خرج في يوم فطر او اضحى، فمرَّ على النساء فوعظهنّ وذكّرهن، وكان في ضمن توجيهه الرشيد لهن ان قال: «يا معشر النساء تصدقن واكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن اكثر اهل النار».. وبهذه الكلمات القلائل تحركت نفوسهن نحو الخير واشفقن من عذاب الله الذي اخبرهن به الصادق الصدوق عليه الصلاة والسلام.. فقالت امرأة منهن جريئة ذات رأي وحصافة.. وذات منطق وإدراك، وما لنا يا رسول الله اكثر اهل النار؟ وهو سؤال تبدو عليه علائم الحذر والاشفاق، وليس سؤال تعنت او اعتراض، إنه سؤال المتفهم البصير، الذي يريد أن يعرف الحق ليتبعه، ويسير على ضوئه ليستنير له الطريق، وهنا وضّح لها الرسول عليه الصلاة والسلام سبب شقاء النساء وسبب هذا البلاء الذي اصابهن وهو (دخول النار) وهو سبب منطقي معقول حيث قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير» أفليست هذه طبيعة النساء بوجه عام؟ او ليس هذا حقيقة عند كل امرأة حتى الصالحات منهن» جحود لنعمة الزوج، وإنكار لاحسانه، وإكثار من اللعن والشتائم حتى على اولادهن.. وكلّ ذلك من تلاعب العاطفة بهن، وتأثرهن بحكم تغلب العاطفة، ولقد وضح عليه الصلاة والسلام هذا المعنى في حديث آخر حيث قال: «لو احسنتَ إلى احداهُن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيراً قط».

ثم يمضي عليه الصلاة والسلام في بيان حقيقة واقعية وهي: ان هذه المرأة الضعيفة، مع ضعفها وعجزها، وعدم استطاعتها للوصول الى منزلة الرجل من حيث القوى الجسمانية والعقلية، مع ذلك فإنها توقع الرجل في شباكها وتتغلب عليه بدهائها، فهي أقوى من الرجل في ميدان الدهاء والتأثير «وما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذي لبٍ منكنّ» إنها حقيقة ملموسة، وامر من قديم الزمن معلوم، فمن الذي اثر على (آدم) عليه السلام حتى اكل من الشجرة غير حواء؟

ومن الذي زجّ بيوسف الصدّيق في غياهب السجن غير مكر النساء؟! وصدق الله ﴿إنّ كيْدَكُنّ عَظِيم﴾[1].

وهنا نقطة هامة ينبغي التنبه لها وهي ان المرأة ليست بنصف عقل الرجل كما يدعي بعض اعداء الاسلام وينسبون ذلك الى رسول الله وحاشاه، فالرسول الكريم لم يقل المرأة بنصف عقل وإنما قال: «ناقصات عقل ودين» وفرقٌ كبير في التعبير بين اللفظين، والنقص امر نسبي وهو إنما جاء من تغلب العاطفة على المرأة.

فالرجل يتغلب عقله على عاطفته، والمرأة تتغلب عاطفتها على عقلها، وهذا من حكمة الله عز وجل، فلولا العاطفة القوية عند النساء لما عاش طفل ولا تربى وليد، وتربية الاطفال تحتاج الى عاطفة قوية لا الى فلسفة عقلية، والعاطفة تتأرجح وتتبدل في كل وقت ولهذا تقول المرأة للرجل:

(ما رأيت منك خيراً قط) وإنها لكلمة ثقيلة تدل على نكران الجميل.. والله الموفق والهادي سواء السبيل..

★ ★ ★

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٨.